

أبو العبر والسمة

من هو أبو العبر؟ شاعر من القرن الثالث، عاش في زمن الخليفة العباسي المتوكل. وهو اليوم غائب عن الذاكرة الأدبية فلا يكاد يعرفه أحد، ولا يرد اسمه في تواريخ الأدب العربي - وما أكثرها - التي تصدرها المطابع. ذلك أن أغلب الباحثين لا يهتمون إلا ببعده واحد: الجد، ويهملون البعد الثاني المكون للأدب الكلاسيكي: الهزل. لماذا لا يكتب تاريخ الهزل في الأدب العربي؟ لماذا يتركز الاهتمام على الجد؟ صحيح أن بعض الدارسين يتطرقون إلى ظاهرة الهزل، ولكنهم يكتفون باعتبارها أمراً غريباً أو وحشياً لا يستحق وقفة طويلة. أما بالنسبة للقدماء فإن الهزل لم يكن ينفصل عن الجد ولم يكن يقل أهمية عنه، فكانوا يربطون أبا العبر بأبي العنيس الصيمري الذي ألف «في الرقاعة نيفاً وثلاثين كتاباً»⁽¹⁾ واستمرت جذوة الهزل (أو اللعب، أو الحمق) تتوهج مع أبي المطهر الأزدي في كتابه حكاية أبي القاسم، ومع بعض شعراء اليتيمة كابن سكرة وابن الحجاج وغيرهما. وأعتقد أن دراسة هؤلاء المؤلفين - إن أنجزت يوماً - ستلقي الأضواء ليس فقط على أدب الهزل وإنما كذلك على أدب الجد، فتتغير نظرتنا إلى الأدب الكلاسيكي وتتجلى ميادين ثقافية جديدة لم تكن في الحسبان.

(1) الإصهاني، XXIII ص. 78.